

الصناعة المعجمية الحديثة بين التنظير والتطبيق المعجم التاريخي للغة العربية أنموذجا

Modern Lexical Industry between Theorizing and Application: Historical dictionary of the Arabic language, a model

الدكتور: عبد القادر حمراي

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر

الملخص :

تعرف الصناعة المعجمية العربية الحديثة مشاريع نظرية واعدة، وتطلعات فكرية ذات مصداقية علمية رائدة إن هي جُسدت وفق مخططاتها التي رسمت لها، و تضافرت لها الظروف المادية والمعنوية الكفيلة بإنجاحها. ويُعدّ المعجم التاريخي للغة العربية أحد هذه المنجزات العلمية الرائدة في ميدانها التي سيكون لها الأثر الكبير في النهوض باللغة العربية وترقيتها بفعل الثراء العلمي والتنوع المعرفي الذي تُدر لهذا المعجم أن يحويه. ففضله ستكون اللغة العربية من بين اللغات العالمية الحية التي جسدت معاجمها التاريخية الجامعة بين ماضيها وحاضرها. ولسير أغوار هذه الفكرة ، والوقوف على معالمها وأبعادها نحاول تسليط الضوء على هذا الإنجاز للنظر في واقع الحال ، وتطلعات المآل. ومن ثمّ الوقوف على محمل العوائق والمثبطات التي تعترض سبيل هذا الإنجاز، وطرح البدائل والسبل الكفيلة بإنجاح هذا المشروع وقطف ثماره من أقرب مورد وأصفى معين.

الكلمات المفتاحية: المعجم التاريخي للغة العربية؛ التنظير والتطبيق؛ سبل النهوض بالمعجم العربي.

Abstract

The modern Arab lexical industry defines promising theoretical projects, and intellectual aspirations with pioneering scientific credibility if they are collected according to the plans that were drawn for them, and combined with the material and moral conditions to ensure their success. The Historical Dictionary of the Arabic language is one of these pioneering scientific achievements in its field, which will have a major impact on the advancement and promotion of the Arabic language due to the scientific richness and knowledge diversity that it contains. Thanks to its, Arabic will be one of the living world languages that embodied its historical dictionaries that are interlinked between the past and present. In the light of this idea, and to see its features and dimensions we try to highlight this achievement to consider the reality of the situation and the aspirations of the future. Thus, we will identify all the obstacles and disincentives that stand in the way of this achievement, and put forward alternatives and ways to make this project a success and receive its benefits from the most reliable resource.

Keywords: Historical dictionary of the Arabic language, theorizing and application, ways to the advancement of the Arabic dictionary.

تخضع اللغة الإنسانية عبر مسارها الزمني إلى الحتمية التاريخية التي تفرض عليها التحول الدلالي والتغير الاستعمالي نتيجة عوامل شتى. بل وقد تندثر لغة ما بأكملها وتتولد عنها لغات جديدة. وهذا ما أثبتته الدراسات التاريخية المقارنة بين الفصائل اللغوية. وما تفرّعت إليه بعض اللغات كالاتينية القديمة. وقد غدّت هذه النظرة فكرة إنشاء المعاجم التاريخية التي تنظر في المسار التاريخي للغة وما يلحقها من تغيّرات و تفرّعات.

لقد اعتنى الغربيون بهذه الفكرة وراحوا يعدّون معاجم تاريخية من شأنها أن تبصّر الدارسين بمختلف المحطّات التي عرفتها لغاتهم تأثيراً وتأثراً وتحوّلاً. وعليه فقد بات مثل هذا العمل إنجازاً حضارياً يعكس مدى اهتمام كلّ قوم بلسانهم. وشغفهم بمعرفة ما اعتراه من تغيّر وتجديد. إذا كان هذا هو حال الأمم الغيرة على لغتها فما هو الإنجاز الذي قدّمه العرب المحدثون للغتهم في هذا المجال؟

إنّ اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات العالمية المتطورة التي أوجدت لنفسها معجماً تاريخياً يربط حاضرها بماضيها. بل هي في أمسّ الحاجة إلى هذا المعجم بالنظر إلى طول عمرها، وغنى تراثها الذي ضاع منه الكثير مثلما يفهم من قول أبي عمرو بن العلاء الذي قال: " ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير."¹

لقد أصبح تأليف المعجم العربي التاريخي حتمية حضارية لا يمكن تجاهلها أو القفز عليها. " وقد صار من الضروري لذلك ونحن نريد للعربية أن تكون في منزلة اللغات الحيّة الواسعة الانتشار أن يتتبع التأليف المعجمي العربي الحديث تطوّر ألفاظها ودلالاتها بتحديد أزمته التاريخية، وضبط ما طرأ عليها من التغير عبر العصور، وتبيين الوشائج والصلات التي تربط بين الألفاظ والألفاظ، وبين الدلالات والدلالات، والإفادة من هذه الثروة اللغوية الضخمة في فهم النصوص، وفي إحياء ماله قابلية الإحياء منها لتوظيفه في التوليد المعجمي اليوم للتعبير عن المفاهيم العلمية والحضارية."² إنّ تحقيق هذا الإنجاز التاريخي هو بناء لذاكرة الأمة العربية وتحصينها من الضياع، وانفصام عراها، خاصّة وأنّ اللغة العربية هي من أوسع اللغات المعاصرة مادّة، وأقدمها حياة، الأمر الذي يجعلنا نتتبع نشأتها وتطوّرها على مرور العصور وكرّ الدهور مخفوفاً بكثير من الصعوبات إلّا أنّ هذا الأمر لا يمنع من حتمية النظر في مسارها التاريخي وما لحقها من تغيّرات دلالية في الاستعمال بفعل عوامل متعدّدة.

لقد أدرك العرب قديماً أهمية المعجم فراخوا يؤلفون كتباً تحفظ مفردات العربية ودلالاتها وقد تنوعت أصناف المعاجم واختلفت باختلاف مناهجها في الاختصاص والتبويب، وعلى الرغم من كثرة تلك التوجهات فإنّ العربية قد كانت ولا تزال بحاجة ماسة إلى معجم تاريخي يرصد حركة التطوّر الدلالي للمفردات اللغوية على غرار ما عرفته الدول الغربية في هذا المجال. فقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلاد فكرة المعجمات التاريخية بفعل شيوع المنهج التاريخي في الدراسات اللسانية. وكانت العاية المنشودة من إنشاء المعجم التاريخي التعرف على حياة المفردات اللغوية عبر مسارها التاريخي، وفق مستويات التحليل اللساني. وما يصحب ذلك من حمولات النصوص التاريخية.

لقد مرّت على الدعوة إلى إنشاء معجم تاريخي للغة العربية عقود من الزمن، ولم يكتب له التجسيد الفعلي رغم كثرة الدّعوات، وتكرّر المحاولات التي لا تكاد تستوي على سوقها حتى تكبو. وقد تعوزها الوسائل المادية والمعنوية فتخبو.

وبذلك بقيت هذه الفكرة لا تجد من يرسي دعائمها. وينير دربها حتى يشتد أزرها، ويستقيم عودها. والسؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح في هذا المجال هو: ما الذي أنجزته الجامعات اللغوية والمؤسسات العلمية بخصوص هذا المعجم الذي كثر الحديث حوله، ولم ير النور لحد الساعة؟ ثم ما هي المعوقات التي حالت دون تجسيده ميدانياً؟

كان المستشرق الألماني فيشر أول من دعا إلى ضرورة العمل على إيجاد معجم تاريخي للغة العربية تماشياً مع التطور المعجمي الذي عرفته أوروبا آنذ حيث اشتدت العناية بالجوانب التاريخية للألفاظ. ونظراً لإيمانه الكبير بهذه الفكرة ووعيه التام بما فقد سعى إلى التمكين لها ميدانياً لما شرع في إنجاز معجمه التاريخي للغة العربية بعد أن روج لفكرته فاقنع بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وتبناها، إلا أن ظروف الحرب العالمية الثانية حالت دون التفرغ لإنجاز ذلك العمل الضخم الذي يتطلب الجهد والمال. وبوفاته سنة 1949م توقف هذا المشروع الواعد. وقد أبدت المجمع العربية عن نيتها في تحقيق هذا الإنجاز إلا أنه ظل يراوح مكانه. رغم المؤتمرات والندوات التي تبنت هذه الفكرة ونظرت لها بغية بعثها من جديد والعمل على تجسيدها ميدانياً على غرار ما دعت إليه الجمعية المعجمية التونسية في ندوتها الدولية سنة 1989م. والتي أسفرت عن مجموعة من التوصيات نذكر منها:

أ- ضرورة البدء في وضع معجم عربي تاريخي لأنه يمثل ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية التي تضبط رصيدنا الفكري، ويكون مرجعنا اللغوي والعلمي الأمين، لكونه:

- 1- مدونة لغوية موثقة قائمة على النصوص الثابتة، تؤرخ لحضارتنا وثقافتنا من خلال رصيدنا اللغوي المشترك.
 - 2- أداة تربوية مرجعية تمكّننا من تصوّر وظائف المعاجم الأخرى، التي تتفرّع عنه في مادته ومنهج وضعه.
- ب - ضرورة وضع منهجية علمية دقيقة محكمة لجمع مادته وترتيبها وتعريفها بالاعتماد على التقنيات الحديثة، لاسيّما التقنيات المعلوماتية المتبعة اليوم.

ب. بالشروع في وضع متطلباته الأساسية وخاصة:

1. ضبط مصادره ومراجعته الأساسية.
2. تكوين مكتبته العلمية.
3. وضع مشروع رصين لمنهجية في الجمع والوضع ترتيباً وتعريفاً.
4. استكشاف التقنيات العصرية الحديثة المساعدة على طي المراحل في استقراء النصوص وتنظيمها، حسب القواعد المعلوماتية المتطورة ومتطلباتها.

ج. الاقتداء في المجال الفني بالتجارب الغربية القائمة، والتجارب القائمة في البلدان المتقدمة ذات الخبرة والتجربة التي تتعاون معها من أجل رقي الثقافة العربية وتنزيلها منزلتها العالمية اللائقة.³

قبل الحديث عن الدواعي الملحة لإنجاز المعجم التاريخي. والوقوف على مختلف المعوقات الكابحة عن تحقيق هذه الغاية نودّ تعريف المعجم التاريخي الذي هو "ديوان يجمع مفردات اللغة العربية مرتبة وفق نظام معيّن ومشروحة مع مراعاة التطور الدلالي للفظ، بدءاً بالمعنى الحسي، وتدرجاً معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوعة مع الإشارة إلى مظهر التطور قدر الإمكان."⁴ فهو من هذا المنظور معجم شامل لكل الأحداث والوقائع اللغوية: "يتقصى معاني اللفظ في مختلف

العصور والبيئات، ولدى كل الطبقات الاجتماعية؛ سواء كان اللفظ عربيا أصيلا فصيحاً، أم كان معرباً أو دخيلاً، أم مولّداً. تذكر معانيه كلّها دون إهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الأصلية في المغرب والدّخيل بمعانيها في العربية.⁵ وتعبير آخر يمكن القول بأنّه "معجم متخصص بشكل أوسع في تاريخ ألفاظ اللغة العربية ومعانيها منذ ولادتها، ومتّبع لدلالاتها في كلّ عصر، استمرارها واختفاؤها، ولا ينبغي أن يفهم من تاريخ الكلمة أنّه مجرد بحث في الأصل والميلاد، إذ المقصود التطوّر والتجديد، وفي كلّ مرّة يتجدّد معنى مفردة من المفردات، فإنّ ذلك يعني ميلاداً جديداً لها، حيث تسعى وتظل على التشبّث بالبقاء وتوليد المعاني الجديدة. وقد تندثر زمناً وتعود لتحيا، شأنها شأن النوع البشري، منها ما يصمد ومنها ما يلحقه الضّعف والهوان ولو مع استمراره في الحياة."⁶ وكان فيشر قد رسم معالم المعجم التاريخي وما ينبغي أن يضطلع به. وسجّل ملاحظاته حول المعاجم العربية القديمة التي أعوزها التركيز على التطوّر الدلالي لما انشغلت بمقاييس الفصاحة التي أملت عليها إقصاء جانب من اللغة التي كانت ستمدّ المعجم التاريخي بمعلومات مفيدة في تسجيل الظاهرة اللغوية من كلّ جوانبها المختلفة. يقول فيشر: "ومنتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجماً تاريخياً، ويجب أن يحوي المعجم التاريخي كلّ كلمة تدوولت في اللغة، فإنّ جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها، وفي أن تُعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها، ولكن المعجمات العربية بعيدة كلّ البعد عن وجهة النظر هذه. فهي لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة، بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي لها، أعني أنّ مصنّفها إنّما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربية وغير الفصيح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات، ويدلّ هذا الاتجاه - دون شك - على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين، ولكنّه عاق القوة الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسّع."⁷ وجملة القول في هذا إنّ المعجم التاريخي هو تاريخ اللغة العربية بكلّ لهجاتها ومختلف ميادينها المعرفية والاجتماعية بداية من النقوش القديمة إلى عصر الرقمنة الحالي.

إذا سلّمنا بأنّ المعجم التاريخي يقوم على جمع المادة اللغوية من خلال النصوص المستقرّة، وتتبع التطوّر الدلالي تاريخياً فإنّ المنهج التاريخي المقارن، والمنهج الوصفي يصيران حتمية علمية ومنهجية في إنجاز المعجم التاريخي، حيث "توصف كلّ النصوص والوحدات بالنظر إلى سنة ورودها، وتحذف الاستعمالات المكرّرة، ثم تدوّن المعاني الجديدة فقط، بالاحتفاظ بالأقدم من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي. كما يدرس المعجم نشأة المادة وعروبته أو تعريبها، وما يتصل بها من عوامل النطق، ويرتبها تاريخياً بحسب ظهور الصّيغ، مع تقديم المبني على المغرب، والثنائي على الثلاثي، والثلاثي على الرباعي والرباعي على الخماسي، واللازم على المتعدي، والمعلوم على المجهول، والمجرد على المزيد، وكلّ التغيّرات الطارئة من خلال حروف الزيادة... كما لا يتجاوز الأساليب والتراكيب الخاصة الاصطلاحية التي اتخذت دلالات معيّنة، كما يذكر اللفظ الذي استخدم مرة واحدة ثمّ هجر، بالإشارة إلى مصدره، وموطنه، وقائله، ومعناه وما طرأ عليه من كلّ الجوانب اللغوية، ولا يتجاوز المسكوكات، والمركّبات، ودلالاتها وتطوّرها عبر الأزمان، حيث يتقصّى المعاني في مختلف العصور والبيئات ولدى كلّ الطبقات."⁸ والذي لا شكّ فيه أنّ عملاً كهذا ليس بالأمر الهين الذي يمكن تحقيقه من غير صبر وأناة تحدهما إرادة قوية في التمكين لهذا العمل الجبار. ولعلّ من أجل المحفّزات على تحقيق هذا الإنجاز هو ما يقدّمه الحاسوب من جهد معتبر في ترتيب المادة الغزيرة وغربلتها، ومن دونه يعظم الخطب

ويُتَّسَع لحدّ الاستحالة لأنّ " المشكلة الأساسية في صناعة المعجم التاريخي تتّصل بحجم المدوّنة التي تؤخذ منها الكلمات والاقْتِباسات، فقد اعتمدت المعاجم التاريخية التي أُنجِرت مثل معجم أكسفورد الانجليزي كما تعتمد المعاجم التي تنفذ حاليا للغات مختلفة ومستويات لغوية مختلفة على مدوّنات ضخمة، وصلت في بعض الحالات إلى عدّة آلاف من المجلدات، تضمّ مئات الملايين من الكلمات المتتابعة في نصوص الكتب. وقد أصبح الحاسوب أداة ذات كفاءة عالية لتحقيق الطموح العلمي." ⁹ الذي يستدعي تضافر الجهود وتعدّد التخصصات التي ترفد بعضها بعضا. كما أنّه من غير المعقول " أن يقوم أحدها أو جماعة منّا بإنجاز معجم تاريخي للغة العربية دون أن يلجأ إلى قاعدة محوسبة من المعطيات لأنّ الذي يرمي إليه هذا المعجم في الأساس هو الكشف بالنسبة لكلّ مفردة عن تطوّر معانيها عبر الزمان وفي كلّ أنحاء الوطن العربي، واكتشاف المعنى لا يمكن أن يُكتفى فيه باللجوء إلى المعاجم القديمة على الإطلاق، فإنّ السياقات كما هو معروف هي التي تحدّد وحدها معنى اللفظة الواحدة أو معانيها المزامنة أو الطّائرة عبر الزمان في النص الواحد أو أكثر من نصّ، كما أنّ هناك مناهج خاصّة لتحليل النصوص لاستخراج المعاني ومن وراء المعاني الأغراض الحقيقية لمستعملي اللغة في هذه النصوص، فهذه هي الطريقة العلمية." ¹⁰ التي تجعل المعجم التاريخي المنشود معجما تأصيليا وتاريخيا معا. وهو بهذه الكيفية يستلزم خبرة كافية بالعربية وما اتصل بها من اللغات السامية وغيرها عبر مسارها التاريخي. كما أنّه بات من الضروري الاعتماد على التقنيات الحديثة المساعدة على الجمع والفرز والتبويب. والنهل مما يمكن أن يحققه مشروع الذخيرة اللغوية العربية كون المعجم التاريخي للغة العربية هو من بين الأهداف المنشودة من إنشاء الذخيرة اللغوية التي تمدّنا بطاقة لغوية متنوّعة بتنوّع السياقات المختلفة.

دواعي إنجاز المعجم التاريخي:

تؤكد اللسانيات الحديثة على أنّ اللسان هو المظهر الاجتماعي للغة البشرية. وعبره تتجسّد ملامح الأمة وصورتها. فقد استطع نجمها بفضل رقي الأمة. ويأفل بضعفها وتقهقرها. ومن ثمّ كان المعجم التاريخي أحد المعالم الكاشفة عن وجه الأمة، ودرجة وعيها الحضاري، ومستواها الفكري في كل مرحلة من مراحل حياتها. ويمكن إجمال مسوّغات إنجاز المعجم التاريخي فيما يلي:

1- الدواعي القومية:

اللغة صورة الأمة وعنوان سيادتها و عماد القومية التي تجمعها، واللغة العربية - نتيجة لذلك - جزء لا يتجزأ من القومية العربية. ولا شك أنّ للمعجم التاريخي دورا أساسيا في التعبير عن تلك القومية لأنّه يوحد بين الاستعمالات المعجمية العربية في مختلف الأمصار التي استعملت فيها العربية. ويعمل على توثيق الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي العربية مشرقا ومغربا. ويعزّز فكرة انتماء العرب إلى أمّتهم لأنّه يؤكّد أصالة الفكر العلمي العربي الذي عبّرت عنه اللغة وحافظت على حمولته، واصطبغت بلونه.

2- الدواعي العلمية:

تقتضي الحتمية العلمية إيجاد معجم تاريخي يكفل للغة العربية حقّها في الدّراسة العلمية التي تسمح لها بأن توصف وصفا لسانيا دقيقا بالتأريخ لمفرداتها ولمعانيها مثلما وصفت غيرها من اللغات الحية كالفرنسية والانجليزية اللتين

وضع لكل منهما معجمهما التاريخي الذي يسمح بالكشف عن حركة سيرها عبر التاريخ وما شابه من تأثير وتأثر، وتبدل أو اضمحلال لبض مفرداتها. ومن ثمّ فهو يؤرّخ لوحداث المعجم في معرفة ما يطرأ على البنى الصرفية والأسلوبية وأصناف التراكيب النحوية من تبدلات. وما يترتب على ذلك من إظهار لصلات القرابة الممكنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى. كما أنّه يكشف عن القيم والمفاهيم الحضارية المرتبطة بالعصور المختلفة.

3- الدواعي التعليمية:

يمثل المعجم التاريخي رافداً مهماً في صناعة المعاجم المدرسية وضبطها، وإمدادها بالشواهد المؤيدة للاستعمال. كما أنّه يمكّن الباحثين من التعرف على حياة المفردات اللغوية وما اعتراها من أحوال. وكذا البنى التركيبية وما عرفته من أوجه الاستعمال.¹¹

وبالمختصر المفيد فإنّ المعجم التاريخي للغة العربية يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف التي يمكن إنجازها فيما يلي:

* الإلمام الواسع بكلام العرب على المستويين الإفرادي والتركيب.

* تتبع التطور الدلالي للألفاظ.

* تحديد الاستعمال الجغرافي للكلمات اعتماداً على اللهجات القبلية.

* معرفة الحقول الدلالية للألفاظ اللغوية.

* الوقوف على الدخيل والمعرّب عبر العصور.

* تحديد السياقات المختلفة للكلمة الواحدة.

* حصر المهجور من الألفاظ.

* الاستفادة من المصطلحات التراثية بعد جمعها وإعادة بعثها.

* جعل المعجم التاريخي رافداً للمعاجم الأخرى المتخصصة.

وهو بهذه النظرة الشاملة يمثل: "هو ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظمة التي تضبط رصيدنا الفكري، وتكون مرجعنا العلمي الأمين الذي نعود إليه، وثيقة موضوعية ومدوّنة من النصوص الثابتة التي تقوم حجة تاريخية لا جدال فيها."¹²

معوّقات الإنجاز والتجسيد:

مما هو متعارف عليه بين الدارسين المحدثين أنّ اللغويين العرب قديماً قد أبلوا بلاء حسناً في جمع متن اللغة وحرصوا حرصاً كبيراً على رواية نصوصها شعراً ونثراً. وخرجوا إلى البوادي لمشاهدة الأعراب، والأخذ عنهم سماعاً فكانوا علميين إجرائيين في طرحهم هذا. وقد كانت بواعثه خالصة لخدمة القرآن الكريم من خلال لسانه العربي المبين. وقد كانت لبنات المعجميين تُوضع الواحدة تلو الأخرى، ويتوالى بناؤها إلى أن أصاب الأمة العربية الركود، ودبّ في أوصالها الوهن نتيجة الظروف التاريخية القاسية التي مرّت بها الأمة العربية، أثّرت بشكل كبير في خمود جذوة البحث العلمي حيث توالى قرون عدّة طبعت بسبب عميق من تاريخنا قد يصعب ربط أوصال حلقاتها لأنّ ذلك ليس بالأمر الهين، كما أنّه ليس بالأمر المستحيل إذا صدقت التّوايا، وشُحذت العزائم، خاصّة وأنّنا نعيش عصر التقانة المتطورة التي توفر الكثير

من الجهد والوقت، وبذلك تُطوى المسافة الزمنية لإنجاز هذا العمل. وذلك بالاعتماد على الجمع المحوسب لاستدراك ما ضاع منا من وقت وجهد والسير على نهج السلف في جمع اللغة وتراث الأمة. ويتم ذلك: "بمراجعة جمع القدماء لها، ومتابعة جمعها بعد عصور الاحتجاج حتى اليوم، ومواصلة هذا العمل بعده، وسيوفر هذا الجمع المحوسب للغة العربية معلومات لم يكن من السهل الحصول عليها بالعمل البشري المحض، حيث سيظهر الاستقرحساء المحوسب للغة العربية تأريخاً شاملاً للغة في المفردات والتراكيب والأساليب، وسيكشف عن قديمها الذي خفّ استعماله أو انقرض أو استمرّ في العصور التالية وسيفصح عما جدّ فيها في مراحل العربية المتعدّدة، وليس لها وجود في المعجمات العربية التي تقيّد واصفوها بفلسفة اللغويين القدماء في دراسة اللغة، ولا سيّما تقيّدهم بأصول نظرية الاحتجاج، حيث سيعين على الكشف عن ملامح التغيّر في اللغة، كظهور ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية جديدة واختلاف دلالات الألفاظ والتراكيب في العصور أو البيئات العربية المتنوّعة، وسيتمكّن العلماء بأوامر محوسبة من ترتيب اللغة زمكانياً، وتصنيفها سياقياً وعلمياً."¹³

ومن بين المعوّقات التي حالت دون تجسيد هذا المطلب هو عدم ظهور الدّراسات اللّسانية في الوطن العربي إلّا في وقت متأخّر من القرن الماضي، علاوة على تشتت جهود العرب في هذا المجال الذي يقتضي تضافر جهود المتخصّصين في الصناعة المعجمية واللّسانيات المقارنة الذين لا ينشغلون إلّا بهذا الإنجاز مع توفير كلّ ما من شأنه أن يسعف ذلك ويطوي المسافة من وسائل التقانة الحديثة المساعدة على الدّقة في الضبط وتوفير الجهد من خلال المسح الشامل للمدوّنة اللغوية.

الخاتمة:

إنّ المعجم التاريخي العربي بما يمثله من أهمية في احتواء الدّكرة اللغوية والثقافية والحضارية التي تحفظ الرصيد الفكري للأمة العربية وتجعله في متناول الباحثين يمثّل ضرورة ملحة تستدعي المسارعة إلى تجسيد هذا الإنجاز الذي يرفد تخصّصات عدّة. إنّ التأريخ للغة العربية هو تأريخ للحياة العامة في مختلف مناحيها مع استهداف التطورات الدلالية عبر مختلف العصور. للإشارة فإنّ هذا المعجم لا يستثني عملاً أدبياً أو علمياً مهما كانت قيمته ونوعيته فلا يحقر من معروف هذه الأعمال شيئاً، وسيظلّ مفتوحاً على كلّ إنتاج معرّبي.

إنّ التأريخ لمسيرة اللغة العربية لا يبيّضنا بمراحل نشأتها وتطوّرها فحسب بل إنّّه يدفعنا إلى استشراف مستقبلها وذلك بتعميق فهمنا لهذه اللغة بغية ربطها بالتقانة الحديثة. وما يمكن أن تميّز به في هذا الجانب والعمل على تذليل كلّ الصعوبات التي يمكن أن تعترض سبيلها وبالتالي العمل على جعلها لغة علمية مواكبة للتطورات العلمية على مختلف الأصعدة، خاصّة وأنّنا نحيّا وسط عالم متسارع الخطى في شتى ميادين الحياة إذ لا مكانة للضعفاء وسط هذا الرّخم المعرّبي المكثّف. وسيظلّ هذا المعجم بما يمثّله من تنوّع معرّبي في بعده القومي والحضاري أداة وظيفية تسعى إلى استقطاب الدّكرة العربية ذات الرصيد المعرّبي الوفير، والزاد اللغوي الغزير الذي قلّما نجد له نظيراً. ومّا لاشكّ فيه أنّ تحقيقه وتحيينه باستمرار سيحقق جملة من الغايات التي نحن في أمسّ الحاجة إليها، ومن أجلّها:

* الحفاظ على الهوية العربية، وتوثيق عرى القومية. ووصل حاضراً الأمة بماضيها من خلال الربط بين مختلف حلقات استعمالها عبر تاريخها الطويل. للإشارة فإنّ اللغة العربية قد استطاعت أن تحافظ على وحدتها فلم تنقسم إلى قديمة وحديثة، و قد زاد من شدّة أزرها القرآن الكريم الذي ضجّ فيها دماً جديداً، ونفخ فيها حياة دائمة إلأى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* تمكين الطلبة والباحثين من التعرف على المسار التطوّري للغة العربية ومن ثمّ إمكانية دراستها دراسة علمية دقيقة تسمح باستغلالها في مختلف التخصصات، وشتى ميادين الحياة.

الهوامش:

1. ابن سلام الجهمي، طبقات فحول الشعراء، دار المعارف، مصر، ص: 27.
2. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 82 الجزء الأول ص: 39.
3. مجلة المعجمية، تونس، العدد: 65، 1990، ص: 511-512.
4. المعجم العربي التاريخي، مفهومه، وظيفته، محتواه، مجلة المعجمية، تونس 1990م، العدد: 05-06، ص: 160.
5. عباس الصوري، في المعجم التاريخي، بحث ألقى في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2006.
6. عبد الغني أبو العزم، المعجم اللغوي التاريخي منهجه ومصادره، ط: 01، مؤسسة الغني للنشر، الرباط: 2006، ص: 11.
7. أوجست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص: 07.
8. صالح بلعيد، المعجم التاريخي للغة العربية، إجراءات منهجية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2009 ص: 516.
9. محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، القاهرة، دار غريب للطبع والنشر و التوزيع، ص: 74.
10. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات الجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر 2007م، ص: 122.
11. ينظر: إحسان النص، مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مسيرة وتاريخ، 41 وما بعدها.
12. محمد رشاد الحمزاوي، ندوة المعجم التاريخي قضايا ووسائل إنجازه، مجلة المعجمية، تونس: 1990، العدد: 05، ص: 06.
13. صادق عبد الله أبو سليمان، نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها، مجلة الجمع الجزائري، الجزائر: 2007م، العدد: 06، ص: 61-60.